دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة عشرة، ربيع ۱۴۰۰، العدد التاسع والأربعون: صص ۲۵- ۴۳

المضامين الوطنية فی أشعار محمّد تقی بهار وحافظ إبراهيم؛ دراسة مقارنة

ابراهيم فلاح*
محمدرضا حاجيان**

تاريخ الوصول: ۹۹/۲/۴
تاريخ القبول: ۹۹/۵/۱۳

الملخّص

ملک الشعراء بهار و*حافظ إبراهيم* من جملة الأدباء الذين تطرّقوا إلى الوطن والوطنيّة فی أشعارهم بصورة مكثّفة. من هذا المنطلق نسعى فـی هـذا المقـال أن نـدرس أشـعارهما الوطنيّة دراسة مقارنة تقـوم علـى أسـاس المدرسـة الأمريكيـة فـی الأدب المقـارن؛ أی المدرسة الّتی لا تبحث فی مواطن التأثير والتأثّر فحسب؛ بل تخوض فی مجـال التشـابه والخلاف أيضاً. يظهر لنا من خلال المقارنة القائمة بين الشـاعرين، بـأنّ: الوطنيّـة وحـبّ الوطن من أهمّ أفكارهما فی الشعر؛ فالاتّجاه الوطنی بارز جدّاً فی أشعارهما؛ بحيث تحوّل هذا المضمون إلى عنصر أسلوبی وحاسم فی المستوى المضمونی واللغوی فـی شـعرهما. أمّا أهمّ الموضوعات المشتركة الّتی تطرّق إليها الشاعران حـول الـوطن والوطنيّـة؛ فهـی عبارة عن: الحبّ والرغبة إلى الوطن، شوق الإنسان إلي الوطن البعيد الّذی أصبح مغتربـاً عنه، مكافحة الاستعمار، الفخر بالتأريخ والأمجاد الوطنيّة الماضية والاجتهاد لإحياء العـزّة والعظمة السابقة وهجاء الحكّام الّذين لا يلقون بالاً بأمور الملک والشعب.

الكلمات الدليليّة: الوطن، محمّد تقی بهار، حافظ إبراهيم، دراسة مقارنة.

* عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الاسلامية، فرع ساری. fallahabrahim@gmail.com
** ماجستير فی اللغة العربية وآدابها.
الكاتب المسؤول: ابراهيم فلاح

المقدّمة

تعدّ الفترة التأريخية المصاحبة للثورة الدستورية واحدة من الأدوار التأريخية المعقّدة فى إيران. وعلى ضوء الظروف الاجتماعية والسياسية فى هذه الفترة والّتى تزامنت مع توغّل الدول الأجنبيّة مثل روسيا والانجليز؛ ظهرت طائفة كبيرة من الشعراء الوطنيين والدينيين؛ كانوا لا يفكّرون سوى فى إيران والشعب الإيرانى؛ لذا تطرّقوا أكثر ما تطرّقوا فى أشعارهم إلى الوطن والدفاع عنه؛ فقد كان محمّد *تقى ملک الشعراء بهار* واحداً منهم؛ فإنّه التحق إلى صفوف الدعاة إلى الثورة الدستورية. ومن جهة أخرى نرى *حافظ إبراهيم*؛ الشاعر المصرى الّذى دعا كثيراً فى أشعاره إلى التحرّر والدفاع عن الوطن؛ فهو أيضاً قد عاش فى الفترة الّتى كانت تعانى بلده- مصر- من هجوم الأجانب والاحتلال.

كان الشعر فى هذه الحقبة الزمنية كما كان عليه فى العصور السابقة؛ فقد كانت مضامين الشعر تدور حول المدح والرثاء ومثل ذلک من المضامين التقليدية؛ ومن ثَمّ توغُّل الاستعمار والظروف والأحوال الاجتماعية أدّت إلى نشأة الشعر السياسى؛ الشعر الّذى رمز إلى نوع من الشوق والرغبة عند النّاس فى المشرق بالنسبة إلى تحقّق الاستقلال والتحرّر من أيّة أنواع من الاضطهاد والاستعمار(آيتى، ١٣٦٨: ۶۶۳)؛ لذا عكف *حافظ إبراهيم*؛ مثله مثل *بهار* على قول وإنشاد الشعر الوطنى ونادى بحريّة مصر وتحرّرها وحثّ النّاس على مكافحة الاستعمار والاحتلال الأجنبى.

نلاحظ مدارس متعدّدة فى مجال الأدب المقارن. "المدرسة الفرنسية"من أبرز هذه المدارس وأشهرها؛ وهى مدرسة تبحث فى مواطن التأثير والتأثّر(الخطيب، ١٩٩٩: ٧٧) أمّا المدرسة الأمريكية فتعتقد بإجراء دراسات الموازنة والمقارنة. «هذه المدرسة كسرت الحواجز الحديدية الّتى أحدثها الروّاد من الأدب المقارن الفرنسى»(عبدالعزيز، ٢٠٠٢م: ١١).

وبناء على سعة المدرسة الأمريكية واستيعابها الكبير مقارنة مع المدارس المقارنة الأخرى، يهدف هذا البحث إلى دراسة الفكرة الوطنية فى أشعار *بهار وحافظ إبراهيم* دراسة مقارنة وذلک على ضوء المدرسة الأمريكية فى الأدب المقارن.

نسعى من خلال هذه الدراسة، أن نجيب عن الأسئلة التالية:

- ما هی المضامين والموضوعات الّتی تطرّق إليها *بهار* و*حافظ إبراهيم* فی أشعارهما الوطنيّة؟

- ما هی مواطن الشبه والخلاف فی الاتّجاه الوطنی عند الشاعرين؟

سابقية البحث

علی ضوء الدراسات والبحوث الّتی تمّت فی هذا المجال، نجد منها ما تطرّقت إلی كلٍّ من الشاعرين بصورة منفردة، من ذلک يمكن الإشارة إلی:

مقالة «دراسة مفهوم الوطن فی أشعار بهار والرصافی»(۱۳۸۸ش)، للباحثين: *ناصر محسنی نيا* و*فاطمه داشن*، المطبوع فی مجلّة ادبيات تطبيقی فی جامعة شهيد باهنر كرمان، السنة الأولی، العدد الأوّل: تطرّق الباحثان إلی آراء *بهار* حول الوطن.

مقالة «دراسة من انعكاس علی مفهوم الوطن فی أشعار بهار وطوقان»(۱۳۸۹ش)، للباحثين: *علی سليمی* و*پيمان صالحی*، المطبوع فی مجلة ادبيات تطبيقی فی جامعة آزاد الإسلامية فرع جيرفت، العدد الخامس عشر: تطرق الباحثان الی آراء *بهار* و*طوقان* حول الحب علی مفهوم الوطن.

مقالة معنون بـ«دراسة مقارنة للوطنية فی أشعار محمود درويش وبهار»(۱۳۹۵ش)، للباحثين: *ليلا جلالی* و*صفی الله كرد*، المطبوع فی مجلة ادبيات تطبيقی فی جامعة آزاد الاسلامية فرع جيرفت، العدد ۳۸: تناول الباحثان أدب المقاومة فی أشعار *محمود درويش* و*بهار* حول حب الوطن. النقطة المتميّزة فی هذه المقالة مقارنة مع الدراسات المذكورة الأخری هی أنّنا لم نكتف بدراسة مفهوم الوطنيّة فحسب، بل تناولنا أهمّ المضامين فی الشعر الوطنی عند الشاعرين.

الوطنيّة وأنواعها

الوطنيّة، لغةً بمعنی: حبّ الوطن والشغف به، وطلب الإستقلال. وإصطلاحاً قد أتی بمعنی: الأصالة والإنتماءات القومية والوطنيّة(نوروزی، ۱۳۷۰ش: ۳۱۶) ترجع خلفيّة الوطنيّة ومنهجها بمعنی إظهار مشاعر الإيرانيين ومشاعرهم بالنسبة إلی بلدهم وثقافتهم إلی تأريخ إيران القديم؛ فتأريخ الوطنيّة عريق يعود إلی ما قبل العصر الحديث. أمّا الوطنيّة

فأصبحت أكثر ظهوراً وتداولاً فى العقود الأخيرة وذلک بفضل دعوة الشعب الإيرانى إلى الثورة الدستورية فى البلد. تمّ تثبيت وقبول هذا المفهوم بمعنى الدين قبل الثورة الدستورية وذلک على ضوء النصوص المقدّسة كالقرآن، لكن مع ظهور الاتّجاهات الوطنيّة فى حركة الثورة الدستورية، بدت هذه الفكرة تدخل فى الأدب الفكرى الإيرانى؛ بحيث نلحظ تداعياتها بشكل مكثّف فى الآثار المنظومة والمنثورة المختلفة(أحمدى، ١٣٣٨ش: ١٣٢).

تنقسم الوطنية إلى قسمين:

أ- الوطنيّة المدنيّة: يُطلق على التنظيم السياسى الّذى أدّى إلى تشكيل البنية السياسية فى المجتمع، وذلک بعد إنعدام الموسّسة الإقطاعية.

ب- الوطنيّة القوميّة: يُطلق على اتّجاه سياسى؛ يُقدّس القومية، اللغة وتقاليد المجتمع المنتسبة إلى القوم؛ ولكى يُسهم نوعاً ما فى كسب القدرة، يخوض فى تحويل هذه الخصوصيات إلى منصّة سياسية.

الوطنيّة والإسلام من المضامين الرئيسة للمقاومة لدى الإيرانيين. والصلة الّتى تربط مابين الوطنيّة والإسلام ليست صلّة متعارضة؛ بل لها أن تتحوّل- فى ظروف الخطر- إلى جبهة واحدة مشتركة تضمّ الدين والوطنية فى ميدان واحد(المصدر نفسه، ١٣٨٨ش: ١٥٤).

من هذا المنطلق، لا نلحظ أى نوع من المفارقة فى الإنتماء الثقافى، الحضارى والقيم الوطنيّة مع الأسس الدينية الإسلامية، وهذا بشأنه يزيل جميع الموانع فى طريق التأقلم القائم بين الوطنية والفكر الإسلامى.

مقارنة "الوطن" فى أشعار بهار وحافظ إبراهيم

١.التوجّه إلى الماضى والفخر به

يمكننا أن نعتبر شعر *بهار* مرآة لأفكاره وآرائه حول إيران إلى جانب أهدافه وآماله الّتى تدور فى ذهنه حول البلاد. يمثّل حبّ الشاعر لإيران إحدى ملامح شعره المميّزة. تبيّنت هذه الرغبة فى أشعاره على صور وأشكال مختلفة وبذلک هيأ الأرضيّة لشعبه لكى يتمكّنوا

من معرفة بلادهم وحفظ إيران. *بهار* مثله مثل نسيم ربيعية تحطّ على العيون المهمومة والحزينة الّتی أصابها الاكتئاب(رستكار، ١٣٥١ش: ٢٠٨). يبيّن لنا *بهار* مدى حبّه وولعه بالوطن بهذه الصورة:

ای خطه ايران ميهن، ای وطن من ای گشته به مهر تو عجين جان و تن من

دور از تو گل و لاله و سرو سمنم نيست ای باغ گل و لاله و سرو و سمن من

هر كرا مهر وطن در دل نباشد كافراست معنی حب الوطن، فرموده پيغمبر است

(بهار،١٣٨٧ش: ١٧٤و ١٧٥و ٥٤٩)

الترجمة: يا أرض إيران، يا وطنی، يا من ختمت به نفسی وروحی. لا أشعر دون الوطن بالورد والتوليب والسرو والياسمين؛ أيا وردی وتوليبی وسروی وياسمينی. من لم يكن فی قلبه شیء من حبّ الوطن؛ فهو كافر. فحبّ الوطن، وصيّة أوصاها النبیّ.

لكلّ إنسان متفكّر غايات وآمال متعدّدة فی الحياة. كان يهدف *بهار* أوّل ما يهدف إلی الوطن؛ فهو أبداً يتحدّث عن الوطن، فكان الوطن يمثّل القاعدة الفكرية عند الشاعر، فكان يفكّر بالوطن فی الظروف الجيّدة ولم ينس الوطن فی زمن مرضه. كان ينظر إلی الجبل، ويحدّق إلی السهل، ويعكف علی مشاهدة البساتين والحدائق، فكان يتذكّر الوطن دائماً:

از غم ايران دلم گرفته به نوعی كه پی درمان خود فراغ ندارد

(رستكار، ١٣٥١: ٢٩)

الترجمة: قلبی مكتئب نوعاً ما علی إيران وأنا فی بحث دؤوب عن علاجی.

نشهد حضوراً ملموساً "للوطنيّة" فی أشعار *حافظ إبراهيم* أيضاً، فعند دراستنا لأشعار *حافظ* يتّضح لنا ما نجده من ملامح مميّزه فی أشعاره المسمّی بـ"الوطنيّات" ممّا جعلته واحداً من أعظم الشعراء فی عصره؛ أی الأشعار الّتی تنبع عن شوقه ورغبته الذاتية إلی وطنه. يصوّر لنا *حافظ* مستوی رغبته واشتياقه إلی الوطن فی مواطن كثيرة من أشعاره.

تعدّ قصيدة "مصر تتحدّث عن نفسها" من أبرز النماذج الّتی تظهر لنا رغبة *حافظ* واشتياقه إلی الوطن؛ أنشد *حافظ إبراهيم* هذه القصيدة فی الحفل الّذی أقيم فی فندق "كوئتنتال" لتكريم المرحوم *عدلی يكن باشا*. هو أنشد هذه القصيدة علی لسان مصر. يری الباحث، بأنّ الشاعر فی هذه القصيدة قد صوّر مصر علی هيئة إنسان سعيد وناجح قد رزقه

الله مواهب كثيرة، ويتحدّث عمّا أوتى من عظمة وكبرياء؛ يدور حديثه حول العظماء والشجعان إلى الملوك الكبار والآثار الطبيعية الّتى صنعتها أيدى البشر مثل الأهرام ونهر النيل وغير ذلک من الآثار الأخرى.

وَقَفَ الخلقُ ينظرونَ جميعاً ... كيف أبنى قواعَد المجدِ وَحدى
وبُناة الأهرام فى سالف الدَّهـ ... ـرِ كفونى الكلامَ عند التَّحدّى
أنا تاجُ العَلاءِ فى مَفرقِ الشَّر ... قِ، ودُرّاتُه فَرائدُ عقدى

(إبراهيم، ١٩٨٨: ٨٩)

يبدو أنّ الشاعر يحاول فى هذه القصيدة أن يبيّن أمجاد مصر وعظمتها على لسان مصر نفسها؛ فيقول فى هذا الصدد:

أىُّ شَىءٍ فِى المَغرِبِ قَد بَهَرَ النا ... سَ جمالاً ولم يكن منه عندى؟
فَتُرابى تِبرٌ وَ نَهرى فُراتٌ ... وسمائى مصقولةٌ كالفِرندِ
أينما سِرتَ جدولٌ عند كرمٍ ... عند زهرٍ مُدَنَّرٍ عند رَندِ

(المصدر نفسه: ٩٠)

وعلى ضوء فخره واعتزازه بمصر، يقف أمام الدول العربية متحدّياً ويقول: ماذا منحت الغرب لشعبها وأنا لا أملكه حتّى أقوم بإهدائه إلى شعبى؟

كلّ ذلک يؤيّد هذه المسألة بأنّ *حافظ*، شاعر ينبض دمه وروحه بالنسبة إلى الوطن. فهو لا ينشد سوى لمصر فقط:

وما أنَا وَالغرامُ وشابُ رأسى ... وَغالَ شَبابى الخطبُ الجسامُ
لَعَمرُکَ ما أرقت لِغَيرِ مِصر ... ومالى دونها أملٌ يُرامُ
ذَكَرتُ جلالَها أيامَ كانَتْ ... تَصول بها الفراعنة العظامُ
وأيامُ الرجالِ بها رجالٌ ... وأيامُ الزمانِ لها غلامٌ
فأقلَق مَضجعى ما باتَ فيها ... وباتَت مِصر فيه فَهَل ألام؟

(إبراهيم، ١٩٨٨: ٣٠)

وعلى ضوء الأشعار الّتى أنشدها الشاعران فى مجال الوطنيّة، فيمكن القول: إنّ العاطفة الوطنيّة عند الشاعرين تطغى على عاطفتهما الشخصيّة، *فحافظ إبراهيم* يفخر أكثر ما يفخر بماضى مصر ويتباهى به.

٢.الحنين للعودة إلى الوطن

"الحنين إلى الوطن والديار" من المضامين والموضوعات الّتی تنبع عن رغبة الشاعرين وحبّهما الوافر بالنسبة إلى الوطن؛ الوطن الّذی ولد فيه الشاعر، وترعرع فيه ونشأ علی ثقافة ذلک الديار والموطن. الحنين إلى الوطن أو ما يعبّر عنه باسم "الاغتراب" أو "ألم الغربة"؛ أی: الأشعار الّتی أنشدها الشاعر من أجل حبّه وولعه بالنسبة إلى الوطن. الأشعار الّتی تبيّن أحاسيس الشاعر وعواطفه بالنسبة إلى وطنه وشعبه ومصيرهم(عتيق، ١٩٧٦: ٢٧٣)؛ لأنّ *بهار وحافظ إبراهيم* قد جرّبا الغربة عن الوطن، وهذا الاغتراب والبعد؛ قد زاد رغبتهما وحبّهما إلى الوطن.

عندما كان *بهار* منشغلاً بالعلاج ومعاناته مع المرض فی قرية "لُزن"، بدأ يفكّر فی نفسه بأنّ الأهالی فی تلک المنطقة يعيشون فی منتهی الرفاهيّة؛ فی حين أنّ أبناء شعبه يغطّون فی نوم الغفلة؛ شعبه الّذی نال المآثر والفخر العظيم فی الماضی.

يقول *بهار* فی قصيدته الّتی تحمل عنوان «لُزُنيه»:

مه کرد مسخر دره و کوه لُزُن را — پر کرد ز سيماب روان دشت و چمن را
گفتی که مگر جهل بپوشيد رخ علم — يا برد سفه آبروی دانش و فن را
گم شد ز نظر آن همه زيبايی و آثار — وين حال مرا ياد من آور وطن را
شد داغ دلم تازه که آورد به يادم — تاريکی و بد روزی ايران کهن را
آن روز کجا رفت که يک حمله بهرام — افکند ز پا ساوه و آن جيش گشن را
آن روز که نادر، صف افغانی و هندی — بشکافت، چو شمشير سحر عقد پرن را

(بهار، ١٣٨٧ش: ٥٨٩)

الترجمة: لقد حلّ الضباب بوادی لُزُن وجبله، والشمس التسمت تدخل أنوارها الساطعة إلى السهول والخضرة والأعشاب. تتسائل: هل يمكن للجهل أن يغشی علی العلم، أو أن يكون الجهل سبباً فی زوال سمعة العلم والفنّ وعظمته. قد اختفت أمارات كلّ ذلک الجمال والآثار عن العيون؛ كلّ هذه الحوادث جعلنی أتذكّر الوطن. وتذكُّری للوطن قد بدّد جروحی من جديد؛ فإنّی تذكّرت ما حلّ بإيران العريقة من المصائب والويلات الكثيرة. أين ذهبت تلک الأيّام!، عندما كان بهرام يهزم ساوه وذلک الجيش الجرّار بهجوم واحد. ذلک

اليوم الّذى خرق نادر صفوف الأفغان والهنود، مثله مثل السيف الفتّاک الّذى ينهال على العقد المتلألئ الجميل.

حافظ إبراهيم يعبّر عن حنينه واشتياقه إلى الوطن بأساليب مختلفة؛ أحياناً يبرز حنينه إلى الوطن والأيّام الجميلة الّتى قضاها مع أصدقائه هناک من خلال إنشاده أشعاراً لرفاقه فى الماضى. من ذلک ما أنشده الشاعر لصديقه محمّد بيک بيرم:

أَثَرْتَ بنا مِن الشوقِ القديمِ وَذِكرى ذلکَ العيشِ الرَّخيمِ
وأيّامٍ كسوناها جَمالاً وأرقَصنا لها فَلَکَ النَّعيمِ
مَلأناها بِنا حُسناً، فكانَتْ بجِيدِ الدهرِ كالعِقدِ النَّظيمِ
وفِتيانٍ مَساميحٍ عَلَيهم جَلابيبٌ مِنَ الذّوقِ السَّليمِ

(إبراهيم، ١٩٨٨: ١٦٢)

وأحياناً يبرز ما له من حنين وشوق بواسطة عبارات تنبئ عن اشتياقه ورغبته الكبيرة فى العودة إلى الوطن؛ فهو يظهر فى هذه الأبيات معاناته فى الغربة، ولا يعيش سوى مع الأمل فى العودة إلى وطنه وديارِه الّذى اغترب عنه:

تحيّةٌ كالوردِ فى الكِمامِ أزهى مِنَ الصّحة فى الأجسامِ
يَسوقُها شوقٌ إليكم نامِى تَقصُر عنه همّة الأقلامِ
ياليتَ شعرى بعدَ هذا العامِ إليكم ترمى بى المرامى
أمْ يَنتوينى رائدُ الحمامِ فَأنطوى فى هذه الآكامِ

(المصدر نفسه: ١٩٨ و١٩٩)

يبيّن *حافظ إبراهيم* مدى حنينه إلى الوطن فى موضع آخر بهذه الصورة:

مَتى أنا بالغٌ يا مصر أرضاً أشمُّ بتربها ريحَ الملابِ

(إبراهيم، ١٩٨٨: ١٢)

يعيش *حافظ إبراهيم* مغترباً بعيداً عن الوطن؛ يبدى تحسّره على مصر ويقول: متى سأتمكّن من العودة إلى مصر لكى أشمّ عطر ترابها الفوّاح! وعلى ضوء الأشعار الّتى أنشدها *بهار وحافظ إبراهيم* حول الحنين إلى الوطن، يمكننا القول: إنّ *حافظ إبراهيم* يظهر تحسّره بالنسبة إلى الذكريات الماضية من خلال أشعاره الّتى نلمس فيها نوعاً من الرغبة والاشتياق فى العودة إلى الوطن؛ هذا فى حين أنّ *بهار* من خلال استلهامه للطبيعة

والضباب يستذكر عظمة إيران ومجدها ويأتی باسم *كورش وداريوش* الّذين اجتهدا كثيراً فی تطوير إيران. ويلوم الشعب الإيرانی علی نسيانهم لهذه الذكريات.

٣.مكافحة المستعمرين والأعداء

فی هذا القسم، سنتطرّق إلی الأشعار الّتی عكف فيها *بهار وحافظ إبراهيم* علی مكافحة الاستبداد والاستعمار.

أ.الإتّجاه المناهض للإستبداد

مدح الحريّة، لزوم التقنين، مناهضة الاستبداد، الحريّة فی البيان والتعبير والأهمّ من كلّ ذلک، الاعتراف بحقّ السلطة الشعبية؛ مفاهيم حديثة نجدها فی قسم كبير من المضامين الشعرية عند الشعراء فی عصر "الثورة الدستورية". فقد أنشد *بهار* قصيدته المسمّی بـ«اندرز به شاه»(موعظة إلی الشاه)؛ عندما كانت الصراعات الشعبية فی إيران حامية تطالب بالثورة الدستورية ضدّ *محمّد علی شاه* الحاكم المستبدّ القاجاری:

شه كه به ملت ببرد اختيار — از دل ملت بزدايد غبار
شاه كه مسؤل بد و خوب نيست — بد شود ار كاری مسئول كيست؟
پادشاها چشم خرد باز كن — فكر سرانجام، در آغاز كن
باز گشا ديده، بيدار خويش — تا نگری عاقبت كار خويش
وای به شاهی كه رعيت كش است — حال خوش ملت از او ناخوش است

(المصدر نفسه: ٧٩١)

الترجمة: علی الحاكم أن يهب الشعب الخيار فی الحكومة، وأن يمسح غبار المصاعب عن قلب شعبه. فإن كان الحاكم غير مسؤول عن الفعال الحسنة والسيئة؟ فإذن؛ من سيكون مسؤولاً عن الأفعال السئية؟ يا حاكم، كن بصيراً وفكّر فی عاقبة الأمور قبل العمل. افتح عينک علی الأمور وكن منتبهاً حتّی ترى عاقبة أمرک ومصيرک. يا حسرتا علی الملک القاتل لشعبه؛ فحال الشعب ينقلب إلی السوء من مشاهدة فعاله.

يعدّ الوعظ والحكمة من الأساليب البيانية عند *بهار*؛ فإنّنا نلحظ هذه السمة التعبيرية فی جميع أشعاره الانتقادية الّتی عارض بها الحكومة والظروف الّتی تعانی منه بلده. قام

ملک الشعراء بهار فی هذه الأبیات بتقدیم موعظة إلی حاکم إیران من خلال بیانه للعاقبة الغیر محمودة الّتی ستلحقه هو والبلاد نتیجة الظروف المأساویة؛ فهو بهذه الصورة یصرّح بمعارضته بالنسبة إلی الحکومة الحالیة. أنشد *بهار* قصیدته المسمّی بـ«شه نادان»(الحاکم المغفّل) أیّام حکومة *أحمد شاه القاجار*؛ فی الوقت الّذی کانت البلاد فی حکمه غارقة فی الاضطرابات والصراعات المختلفة وذلک لعدم کفائته وانشغاله بالملذّات:

زین شه نادان، امید ملکرانی داشتن　　هست چون از دزد، چشم پاسبانی داشتن
کذب و جبن و احتکار و خست و رشوه خوری　　هیچ ناپدر است با تاج کیانی داشتن

(المصدر نفسه: ٢٥٠)

الترجمة: أن نتوقّع من هذا المغفّل أن یدیر أمور المملکة؛ کأنّما نطلب من السارق أن یقوم بحراسة أموالنا. فکلّه کذب وجبن واحتکار وهوان وارتشاء؛ فهذا لا یلیق مع الحکم والتاج الملوکی.

نلحظ فی هذه الأبیات- کما هو بادٍ- بأنّ *بهار* یصرّح بعدم کفائة الحاکم القاجاری وعدم قبولهم للمسؤلیة؛ فهو یراهم کاللصوص فی اللامبالاة. *بهار* یکشف عن الرذائل الّتی کان یقوم بها الحاکم فی المجتمع فی تلک الفترة، وفی هذا الصدد ینتقد الحکّام والعظماء فی البلاد.

کانت واقعة "نشوای" من الحوادث الّتی أثارت مشاعر *حافظ إبراهیم*. ترجع واقعة نشوای إلی رحلة عدد من الضبّاط الإنجلیز إلی نشوای للصید، فمن الضبّاط من قتل امرأة قرویة بالرصاص، فانهال أهل القریة علی الضبّاط بالید والحجارة والخشب؛ فقُتل أحد الضبّاط فی هذا الصراع. فاتّخذ الإنجلیز من هذه الواقعة حجّة لقمع الثوریین والمعارضین، وقاموا بتشکیل محکمة مزیّفة فی نشوای وحکموا بالإعدام علی أربعة أشخاص وجلدوا ثمانیة أشخاص وسجنوهم برفقة تسعة أشخاص آخرین. أثارت هذه الأحکام الظالمة مشاعر الشعب المحبّ لوطنه فی مصر، وحتّی فی الإنجلیز نفسها؛ تسبّبت هذه الواقعه فی انزعاج أصحاب الضمائر الحیّة، منهم الکاتب المعروف الإنجلیزی *برنارد شو*(میرزایی، ١٣٨٢ش: ١٥٥):

أیُّها المدعی العمومیّ مهلاً　　بعضَ هذا فقد بلغتَ المرادا
فاذا ما جلستَ للحکمِ فاذکُرْ　　عهدَ مصرٍ فقد شفیتَ الفُؤادا

لاجری النيلُ فی نواحيکِ يا مصـ ـرُ ولا جادکِ الحيا حيـثُ جـادا

(إبراهيم، ١٩٨٨: ١٥٧)

الشاعر بيّن معارضته لهذا الرأی من خلال بيانه الآهات والآلام الّتی تکتنه صدره.

يظهر لنا من خلال الأبيات المذکوره، بأنّ *بهار* يخاطب رجال الحکومة ويبيّن معارضته بصراحة أکبر مقارنة مع *حافظ إبراهيم*.

ب.الاجتهاد لنهضة النّاس ووعيهم

صرخة *بهار* تبدو عالية فی أشعاره، حيث يقول: أيا أبناء *داريوش*، هل صدأت سيوفکم؟ وصمتت طبولکم الأبديّة؟، يا شباب الشجعان أينما کنتم فی إيران، ثابروا فی سبيل تطوير إيران وترقيتها وترقّبوا الوطن بقلب زاخر بالشوق والبهجـة، وابقـوا أحـراراً وفـاتحين دائمـاً وذلک بعزم رجولی(رستکار، ١٣٥١ش: ٢٩).

هـان، ای ايرانيـان! ايـران انـدر بلاسـت مملکت داريـوش دسـتخوش نيکلاسـت
مرکز ملـک کيـان در دهـن اژدهاسـت غيرت اسلام کو؟ جنبش ملـی کجاسـت
برادران رشيد! اين همه سستی چراست ايران مال شماست، ايران مـال شماسـت
هـان ای ايرانيـان، بيـنم محبوسـتان به پنجـه انگلـيس، بـه چنگـال روسِـتان
گوئی در ايـن ميـان گرفتـه کابوسـتان کز دو طرف می‌برند ثـروت و ناموسـتان

(بهار، ١٣٨٧: ٢٠٨ و٢٠٩)

الترجمة: ها.. يا إيرانيون! انتبهوا، فإيران تعانی من بلاء ومصائب، صارت مملکة داريوش عرضة للمشاکل والمصاعب. قاعدة الملک العظيمة دخلت فـی فـم التنـين، فـأين ذهبـت حميّة الإسلام؟ أين صارت الهنضة الوطنيّة؟ يا إخوة الرشد؛ لماذا کلّ هذا الهـوان؟ فـإيران ملککم... إيران لکم أنتم. ها... يا إيرانيون! أری أنّ سجينکم محتجـز فـی أظـافر الإنجليـز ومخالب الروس. کأنّما أسرکم الکابوس؛ فمن جهتين: يسلبون أموالکم وشرفکم.

وکذلک نری بأنّ *بهار* يثير النخوة الوطنية والشعور الوطنی عند الشـباب فـی قصـيدته المسمّی بـ«پيام ايران»(رسالة إيران)، ويشير إلی مفاخر إيران الماضية والنزاعـات الثوريـة فی الماضی، وبذلک يعظ شباب الوطن ويبلغهم هذه الرسالة: الأن يجـب علـيکم أنـتم أن تمسکوا علم حريّة الشعب بأيديکم بدلاً عن آبائکم ولا تخشـوا شـيئاً أبـداً؛ لأنّ هـذه هـی

طريقتنا وأسلوبنا فی الحياة؛ فيجب أن نضحّی بأنفسنا فی طريق حريّة الشعب ولا يجب أن نكفّ عن الاجتهاد فی هذا السبيل:

به هوش باش که ايران تو را پيام دهد　　ترا پيام به صد عز و احترام دهد
کجاست حزبی از آزادگان که چون پدران　　ز خصم، جان بستاند به دوست، جام دهد؟

(المصدر نفسه: ۴۴۵و ۴۴۶)

الترجمة: كن يقظاً منتبهاً حتّ تخبرک إيران؛ تخبرک بالعز الجليل والمجد الكبير. أين ذلک الحزب من الأحرار؛ كآبائنا السابقين الّذين كانوا يقتلون الأعداء لمصلحة الصديق.

لحافظ إبراهيم فی هذا الصدد، أبياتاً من الشعر، يتطرّق من خلالها إلی مشاكل بلاده والمآسی الّتی تعانی منه وينتقد- وبشدّة- أبناء شعبه ويلومهم فی هذا الشأن ويقول:

وأيامُ الرجالِ بها رجالٌ　　وأيامُ الزمانِ لها غلامٌ
فأقلَق مَضجعی ما باتَ فيها　　وباتَت مِصر فيه فَهَل ألام؟

(إبراهيم، ١٩٨٨: ٣٠)

حافظ فی هذه الأبيات، يتطرّق إلی أمجاد مصر وعظمتها فی تلک الأيّام الخاوية الّتی كانت تسود مصر بين الأمم والشعوب المختلفة. ويذكر *حافظ إبراهيم* لنا العلّة والسبب فی تراجع الدول المتخلّفة ويقول: فی الزمن الّذی لم يشعر به العظماء والعلماء بالمسؤوليّة وقاموا يفوّضون الأمور إلی بعضهم لبعض؛ صارت الأمور تزداد تعقيداً؛ كما يصعب مرض الجذام علی الأطبّاء:

قَدْ إستعصی علی الحكماءِ منّا　　كَما اسْتَعصی علی الطبِّ الجُذامُ
هلاكُ الفردِ مَنْشَؤهُ توانٍ　　وموتُ الشَّعبِ مَنْشْؤُهُ انقِسامُ
وإنّا قد وَنَينا وانْقَسَمنا　　فلا سعیٌ هناک ولا وِئامُ
فَساءَ مُقامُنا فی أرضِ (مصرٍ)　　وطابَ لغيرنا فيها المقامُ

(إبراهيم، ١٩٨٨: ٥٥)

ويری الشاعر بأنّ الهشاشة والكسل تؤدّی إلی هلاک النّاس والتشتّت يؤدّی إلی موت وزوال الشعوب المختلفة.

فَما سادوا بمعجزةٍ علينا　　ولكن فی صُفوفِهم انضِمامُ

فَــلا تَثِقــوا بوَعــدِ القــومِ يومــاً فــإنَّ سَــحابَ ساسَــتِهم جِهــامُ
وخـــافوهم إذا لانـــوا، فـــإنّى أرى السُّــواسَ لــيس لَهــم ذِمــامُ
فَكَم ضَـحِكَ العميـدُ علـى لحانـا وَغَـــرَّ سَـــراتنا منـــه ابتســـامُ

(المصدر نفسه: ۵۶)

يشير الشاعر فى الأبيات المذكورة إلى علّة نجـاح المسـتعمرين وخاصّـة الإنجليـز، ولا يجب علينا أن ننخدع بالظاهر والزىّ الغربى، فالشاعر يوصى شعبه بـالطريق الّـذى يمكـن من خلاله مواجهة الاستعمار. شعر *بهار*، شعر هادف وموجّه، فهو يهدف أوّل ما يهدف إلـى وعى النّاس ونهضتهم. أمّا *حافظ إبراهيم* فيدعو المتلقّين إلى الـوعى والنهضـة مـن خـلال استدعائه تأريخ مصر القديم وحياة الشخصيّات الكبيرة والمفاخر البلاد المختلفة.

نستنتج من أشعار *حافظ إبراهيم و بهار* بأنّ الشاعران مستاءان من الجرائد والصحفيين لأنّهما لا يقومون بوظائفهما على نحو جيّد. أمّا *بهـار* فينسـب الجرائـد إلـى الأجانـب، أمّـا *حافظ إبراهيم* فيتّهم الصحافة فى دسّ التفرقة والضلال بين النّاس.

نتيجة البحث

توصّلنا من خلال دراستنا المقارنة فى أشعار *بهار وحافظ إبراهيم* فـى مجـال الوطنيّـة إلى النتائج التالية:

١.توسّل *بهار وحافظ إبراهيم* إلى التأريخ القـديم كأسـلوب لنهضـة مـن يسـتمع إلـى أشعارهما. *حافظ إبراهيم* قلّما يعتمد اسماً خاصـاً فـى أشـعاره؛ فمخاطبـه عـامّ فـى كـلّ الأحوال. هذا فى حين أنّ مخاطبى *بهار* واضحون جدّاً؛ فهو يذكر عـادة أسـماء السياسـين من رجال الحكومة بشكل صريح.

٢.الاتّجاه المشترک الّذى سعى إليه الشاعران، هو: حثّ الشعب على العودة إلـى العصـر الذهبى للحضارة الإيرانية والمصرية العريقتين. أمّا الخلاف القائم فى هـذا الشـأن، فهـو أنّ *بهار* يعتمد أسلوباً بيانياً من خلال اتّخاذه صنعة التشبيه والصور الأدبيّة؛ فى حين أنّ بيـان *حافظ إبراهيم* بيان مباشر وصريح.

٣.من المضامين المشتركة فى أشعار *بهار* و*حافظ إبراهيم* هى أنّهما شـاعران وطنيّـان؛ اعتبرا الانجليز عدوّ بلادهما الرئيسى.

٤. نلحظ فی أشعار *حافظ إبراهیم* حضوراً صریحاً للوطن؛ حضوراً ینبئ عن شوق جارف فی العودة إلی الوطن؛ فی حین أنّ *بهار* یستدعی الطبیعة والضباب وذلک لاستذکار عظمة إیران ومجدها الماضی؛ وقد اتّخذ الشاعر منحیً وعظیّ.

٥. *بهار وحافظ إبراهیم*؛ شاعران متجدّدان فی الحقل السیاسی والاجتماعی؛ فالمضمون السیاسی والاجتماعی فی أشعارهما یغلب علی الجانب الفردی. فی الواقع، نری بأنّ الوطنیّة وحبّ الوطن قد خالطت أشعارهما بحیث لقّبا بـ"شاعر الحریّة" أو "شاعر الوطن" باستحقاق وجدارة.

المصادر والمراجع

ابراهيم، حافظ. ۱۹۸۸م، **ديوان**، بيروت: دار الجيل.

احمدی، حميـد. ۱۳۸۸ش، **بنيادهای هويت ملی ايرانی، چارچوب نظری هويـت ملـی شـهروند محور**، تهران: پژوهشكده مطالعات فرهنگی و اجتماعی.

امين پور، قيصر. ۱۳۸۴ش، **سنت و نوآوری در شعر معاصر**، تهران: انتشارات علمی و فرهنگی.

آجودانی، ماشـاءالله. ۱۳۸۲ش، **يا مرگ يا تجدد «دفتـری در شـعر و ادب مشـروطه»**، چـاپ اول، تهران: نشر اختران.

آيتی، عبدالمحمد. ۱۳۶۸ش، **تاريخ ادبيات زبان عربی**، چاپ دوم، تهران: انتشارات توس.

بهار، محمد تقی. ۱۳۸۷ش، **ديوان**، چاپ اول، تهران: انتشارات نگاه.

بهار، محمد تقی. ۱۳۹۱ش، **سبک شناسی زبان و شعر فارسی**، به اهتمام كيومرث كيوان، چاپ اول، تهران: انتشارات اميركبير.

الخطيب، حسام. ۱۹۹۹م، **آداب المقارن عربيّا وعالميّاً**، دمشق: دار الفكر.

الخفاجی، محمد عبدالمنعم. ۱۹۹۲م، **دراسات فی الأدب العربی الحديث ومدارسه**، الطبعة الأولـی، بيروت: دار الجيل.

روزبه، محمد رضا. ۱۳۸۱ش، **ادبيات معاصر ايران «شعر»**، چاپ اول، تهران: انتشارات روزگار.

عبدالعزيز، احمد. ۲۰۰۲م، **نظرية جديدة لِلأدب المقارن**، القاهرة: مكتبة آنجلو المصرية.

عتيق، عبدالعزيز. ۱۹۷۶م، **الأدب العربی فی الأندلس**، الطبعة الثانية بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر.

فلاح رستگار، گيتی. ۱۳۵۱ش، **منتخب شعر بهار و بررسی كوتاهی از اشعار او**، چـاپ اول، تهـران: انتشارات باستان.

كريمی، رضا. ۱۳۷۸ش، **آشنايی با نهضت‌های اسلامی در مصر**، تهران: دار القلم.

ميرزايی، فرامرز. ۱۳۸۲ش، **نصوص حيـة من الأدب العربی المعاصـر**، چـاپ دوم، همـدان: انتشـارات بوعلی سينا.

ناتل خانلری، پرويز. ۱۳۷۰ش، **از خاطرات ادبی درباره بهار**، به كوشش صدرالدين الهـی، چـاپ دوم، تهران: انتشارات ايران شناسی.

نوروزی خيابانی، مهدی. ۱۳۷۰ش، **فرهنگ لغات و اصطلاحات انگليسی- فارسی**، تهران: نشر نی.

المقالات

رادفر، ابوالقاسم. ۱۳۸۸ش، **«درآمدی تطبيقی بر شعر فارسی و اردو در دوره مشـروطه»**، نشـريه ادبيات تطبيقی، سال سوم، شماره ۹، كرمان.

محسنی نیا، ناصر و فاطمه داشن. ۱۳۸۸ش، «**بررسی مفهوم وطن در اشعار بهار و رصافی**»، نشـریه ادبیات تطبیقی دانشکده علوم انسانی دانشگاه شهید باهنر کرمان، س ۱، ش ۱، صص۱۵۶-۱۳۳.
ممتحن، مهدی. ۱۳۸۸ش، «**مقایسه ناسیونالیسـم در اشـعار ملـی عـارف قزوینـی و ابـراهیم طوقان**»، نشریه ادبیات تطبیقی، سال سوم، شماره۳، کرمان.

Bibliography

Ibrahim, Hafiz 1988, Diwan, Beirut: Dar Al-Jail.
Ahmadi, Hamid 2009, Foundations of Iranian National Identity, Theoretical Framework of Citizen-Based National Identity, Tehran: Research Institute for Cultural and Social Studies.
Aminpour, Qaisar. 2005, Tradition and Innovation in Contemporary Poetry, Tehran: Scientific and Cultural Publications.
Ajodani, Mashaallah. 2003, Death or Modernity, "A Book in Constitutional Poetry and Literature", First Edition, Tehran: Akhtaran Publishing.
Ayati, Abdul Mohammad 1989, History of Arabic Language Literature, Second Edition, Tehran: Toos Publications.
Bahar, Mohammad Taqi 2008, Divan, first edition, Tehran: Negah Publications.
Bahar, Mohammad Taqi 2012, Stylistics of Persian Language and Poetry, by Kiomars Keyvan, First Edition, Tehran: Amirkabir Publications.
Al-Khatib, Hessam. 1999, Arabic and World Literary Etiquette, Damascus: Dar al-Fekr.
Al-Khafaji, Mohammad Abdul Monam 1992, Studies in Arabic Hadith Literature and Schools, First Edition, Beirut: Dar Al-Jail.
Roozbeh, Mohammad Reza 2002, Contemporary Iranian Literature "Poetry", First Edition, Tehran: Roozgar Publications.
Abdul Aziz, Ahmad 2002, A New Theory of Contemporary Literature, Cairo: The Egyptian Angel School.
Atiq, Abdul Aziz 1976, Arabic Literature in Andalusia, Second Edition, Beirut: Dar Al-Nahza for Printing and Publishing.
Fallah Rastegar, Giti. 1972, Selected by Bahar Poetry and a Short Review of His Poems, First Edition, Tehran: Bastan Publications.
Karimi, Reza 1999, Introduction to Islamic Movements in Egypt, Tehran: Dar al-Qalam.
Mirzaei, Faramarz. 2003, Life Texts of Contemporary Arabic Literature, Second Edition, Hamedan: Bu Ali Sina Publications.
Natel Khanlari, Parviz. 1991, from literary memoirs about Bahar, by Sadr al-Din Elahi, second edition, Tehran: Iranology Publications.
Nowruzi Khiabani, Mehdi. 1991, Dictionary of English-Persian Vocabulary and Terms, Tehran: Ney Publishing.

Articles

Radfar, Abu al-Qasem 2009, "Comparative Introduction to Persian and Urdu Poetry in the Constitutional Period", Journal of Comparative Literature, Third Year, No. 9, Kerman.

Mohseni Nia, Nasser and Fatemeh Dashan. 2009, "Study of the concept of homeland in the poems of Bahar and Rasafi", Journal of Comparative Literature, Faculty of Humanities, Shahid Bahonar University of Kerman, Vol. 1, No. 1, pp. 156-133.
Momtahen, Mehdi. 2009, "Comparison of Nationalism in the National Poems of Aref Qazvini and Ebrahim Toughan", Journal of Comparative Literature, Third Year, No. 3, Kerman.

A Comparative Study of the Homeland Theme in the Poems of Mohammad Taghi Bahar and Hafez Ebrahim

Ibrahim Fallah: Faculty member of Islamic Azad University, Sari Branch.
Mohammadreza Hajiyan: MA in Arabic Language and Literature.

Abstract

Malek al-Sho'arai Bahar and Hafez Ibrahim are two literates that homeland and patriotism are so obvious in their poems. Therefore, in this research, it is tried to make a comparative study of the patriotic and national poems of these two poets about the homeland, relying on the American school of comparative literature which does not consider the condition of adaptation as just the existence of fields of influence and regret. A comparative study of the poems of these two poets shows that patriotism and love to homeland are prominent manifestations of their ideas. The patriotic approach in his poems is so wide that it has become a stylistic and decisive element in the content and linguistic level of their poetry. The most important common themes that the two poets express about homeland and patriotism are: love and affection for the homeland, nostalgia for the homeland from which they are far away, struggle against colonialism, pride in the history and background of the homeland and effort to restore authority and past honor, condemnation of the rulers who do not pay attention to the affairs of the country.

Keywords: Homeland, Mohammad Taghi Bahar, Hafez Ebrahim, Comparative study.

بررسی تطبیقی درونمایه وطن در اشعار محمد تقی بهار و حافظ ابراهیم

ابراهیم فلاح*
محمدرضا حاجیان**

چکیده

ملک الشعرای بهار و *حافظ ابراهیم* دو تن از ادیبانی هستند که وطن و وطن پرستی در اشعارشان نمود بارزی دارد. لذا در این پژوهش تلاش می‌شود با تکیه بر مکتب آمریکایی ادبیات تطبیقی که شرط تطبیق را فقط وجود زمینه‌های تأثیر و تأثّر نمی‌داند، به بررسی تطبیقی اشعار میهنی و ملی این دو شاعر درباره وطن پرداخته شود. بررسی تطبیقی اشعار این دو شاعر نشان می‌دهد که میهن دوستی و عشق به وطن از جلوه‌های بارز اندیشه‌های آن‌هاست. رویکرد وطن‌دوستی در اشعار ایشان آنچنان گسترده است که به عنصری سبک‌ساز و تعیین‌کننده در سطح محتوایی و زبانی شعر آن‌ها تبدیل شده است. مهم‌ترین موضوعات مشترکی که دو شاعر درباره وطن و وطن پرستی بیان می‌کنند عبارت‌اند از: عشق و علاقه به وطن، دلتنگی نسبت به وطنی که از آن دور افتاده‌اند، مبارزه با استعمار، افتخار به تاریخ و پیشینه وطن و تلاش برای احیای اقتدار و عزت گذشته، و نکوهش از حکام بی توجه به امور مملکت.

کلیدواژگان: وطن، محمد تقی بهار، حافظ ابراهیم، بررسی تطبیقی.

* عضو هیأت علمی دانشگاه آزاد اسلامی، واحد ساری.
** کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی.